يرحمهم الله

د. محمد محمد الجوادى

دار الأطبـــاء

إهداء

إلى الأستاذ الجليل سعد درويش
فى مدرسته تعلمنا أصولًا فى النشر
وفصولًا فى الوفاء

هذا الكتاب

قد يكون من إنصاف المؤلف لنفسه أن يقول إن هذه الكلمات كانت فى أغلب أمرها خطباً أعدها لحفلات التأبين ، وقد لا يكون مبالغاً إذا قال إن الواحدة منها كانت تأخذ منه أكثر من شهر ، ولكننى مع ذلك كنت أسعد الناس بها ، وما كان أسهل الأمر علىَّ أن اترك قلمى يروى أو يعبر ، ولكننى كنت أود أن يكون للقلم الشاب شيئا من حكمة اللفظ . والعقل . والعبارة .

وقتها كنت فى نيروبى ، فجعت بنبأ وفاة الاستاذ الجليل صلاح عبد الصبور بعد رحيله بأيام ، وكنت قبل سفرى على باب مكتبه رحمه الله ، فلمحت من ذلك الباب الذى لم يكن يغلق إلا فى القليل النادر عدداً كبيراً من زواره ، فآثرت أن أنصرف عن زيادة الأعباء عليه بما كان يؤدى من آداب التحية والتكريم لزواره ، وقلت أراه بعد أن أعود ! ولم يتح لى أن اكتب مع من كتبوا فى أعقاب رحيله ، فاعتزمت أن اشارك فى حفل التأبين الذى أعلن عن إقامته فى قصر ثقافة الحرية بالإسكندرية ، وذهبت يومها فإذا الحفل قد تأجل ، وإذا هم يقولون إن حفلاً كبيراً سوف يقام بإشراف أستاذنا الدكتور شوقى ضيف ، واستأذنته ، فوعدنى .. ثم ذهبت على حين فجأة إلى سرير المرض فلا أدرى هل أقيم الحفل أم لا ؟ ولكن كلمتى على كل حال تخرج اليوم إلى النور .

وفيما كنت فى سرير المرض ، رحل الأستاذ الكبير زكى عبد القادر ، ولم أكن يومها بقادر على أن أكون فى الوضع الذى اتناول به القلم فأكتب ، وإن كنت استطيع القراءة مع شيء من الاجهاد ، فكنت آسى لنفسى ألا أستطيع أن أرد لهذا الرجل بعض الفضل علىّ فيما شارك به من صنع مجدى يوم كتب عنى .:

وفى صيف ١٩٨٣ ، مرت بى عشرة أيام أو أكثر لم أطالع فيها صحفنا ، ثم ساقت لى الاقدار بعضها فى مطار لندن فى لحظات انتظار الطائرة ، فاذا بى أرى كلاماً عن الاستاذ بدر الدين أبو غازى وكأنه مات ، بل إنه قد انتقل إلى رحمة الله ، وكانت تربطنى بالراحل العظيم صلة عميقة ، وكتبت تلك الكلمة ، وارسلتها إلى إحدى مجلاتنا الشهرية ، وعدت فشكروا لى وأخبرونى أنهم يودون لو تجمع عندهم من الكلمات عن بدر الدين أبو غازى صاحب الفضل على المجلة ما يفردون له جزءاً من العدد القادم ، ولهذا أرجأوا نشر كلمتى ، وإنى لاستسمحهم أن تكون كلمتى عن الاستاذ بدر الدين هنا بين كلمات عن العظماء ، إلى أن يتاح أن تكون عندهم بين كلمات العظماء عن بدر الدين أبو غازى !

وفيما بعد ذلك ذهب إلى لقاء ربه الاستاذ فهمى عبد اللطيف ، وظننت أن ظروفى لن تكون اليوم عائقاً عن المشاركة فى حفل تأبينه ، واعددت كلمتى ، واجتهدت فى أن أفرغ لنفسى ذلك اليوم الذى يكون تأبينه فيه فى مسائه ، فلما أوشك ذلك اليوم فوجئت أنهم قد أجلوه إلى

يوم آخر كنت لسوء حظى قد أجلت إليه كثيراً من الارتباطات المتواضعة خارج القاهرة .. وهكذا وجدتنى أقع فى التقصير للمرة الرابعة ، ذلك التقصير الذى أرجو لهذا الكتيب أن يغفره لى عند أهل الانصاف والتقدير ، وعند نفسى قبل ذلك .

على أنى أرجو أن يكون هذا كله مما يدلنا على سبب قد يكون مدعاة للتخفيف من عجبنا من ذهاب الوفاء ، وهى ظاهرة لو تعمقت لذهبت ببعض جذورنا ، ولكن الذى لا شك فيه هو وجود بعض الظروف التى تحول بيننا وبين أداء حق هؤلاء الناس على هذا الوطن ، الذين قدموا له ما قدموا .. فإذا وجد الناس من تفصيل ظروف شاب صغير ، قد يكون من أقل أهل الأدب أدبا ، مايقنعهم بقبول عذره فى تأخره عن أداء هذه الواجبات إلى اليوم ، فإنهم بلا شك واجدون الاعذار للناس الكبار .. ومع هذا فإنى أظن أن جمهور القراء ينتظرون مثل هذا من أصحاب الاقلام والأفضال جميعاً .

أما الفصل الذى عن الدكتور يحيى المشد ، الذى لم أشرف بمعرفته ، ولا باللقاء به ، فقد اجتهدت فيه أن أصل بالعقل وحده إلى ما ينبغى أن اصل إليه بالعقل والنفس معاً ، (كالحال فى الفصول الأخرى) ، وقد كلفنى بكتابته لإحدى المجلات العربية الناشئة الأستاذ الجليل صلاح جلال ، ولا أدرى أين ذهب يومها ، ولكنى أدرى أنه اليوم بين دفتى هذا الكتاب الصغير ..

دكتور محمد الجوادى

صلاح عبد الصبور

كان صلاح عبد الصبور عليه رحمة الله من أولئك الذين عركوا الحياة وعركتهم الحياة ،واجه منذ مرحلة مبكرة من حياته مشاعر الحب والحقد ، والنصح والتضليل والاعزاز والتقديرأو ألاستنكار والتقليل ، وجد من يأخذه بيده ومن يحاول سحب ماتحت قدمه ،وقرأ وقرأ الناس عنه لاقلام تنفخ فى بالونة ، وقرأوا لأخرى تحاول أن تذهب بكل قيمة للاشكال الفنية الجديدة التى نفخ فيها صلاح عبد الصبور روح الشعر . وعمل رحمه الله بالوظيفة وهى فى الواقع أقسى المواقع على نفسية أمثاله . وفى هذا كله كان غفر الله بحسه الذى وهبه اللهوبشعوره قبل شعره أكثر الناس قدرة على تمييز الصديق من العدو ، وأقل الناس قدرة على تمييز الصديق على العدو ، وكفاه هذا فخراً على مدى تاريخه الادبى والفكرى .

مضى صلاح عبد الصبور يصعد درجات المجد فى تأن فيأبى عليه معارضوه أن يصعد فلا يكون إباؤه إلا أن يحول التأنى إلى تفان يضاعف من سرعته من دون أن يضعف قوته . استحال الخلاف عنده إلى نوع من الخلق المتواصل يدفع به الهجمات المتواصلة ويضيف به إلى ماضيه وحاضره ومستقبله (الذي لا يزال إلى الآن مستقبلا) ولعلكم تشاركونني الرأى أن مثل هذا التحول الذى يحيل الخلف إلى خلق لا يظفر به إلا ذوو الخلق الرفيع .

وكثير من الذين هاجموا مدرسة الشعر الجديد كان ينهون مقالاتهم بإظهار التقدير والإجلال والاحترام لصلاح عبد الصبور ، وخلقه

الرفيع ، وقدرته الفائقة ، وقراءاته الموسوعية ، وثقافته العالية ، وروحه الوثابة ، وعقليته الناضجة ، ولم يكن هذا السلوك النقدى الذى يعلى من قدرة الشخص ويهبط بقدر الفكرة منسجما فى الواقع مع إيقاع روح العصر الذى ظهر فيه صلاح عبد الصبور ، تلك الروح التى كانت تصرف النظر عن جلائل الأعمال لتثبت نقائض الاشخاص لتنتهى إلى هدم كثير من القيم والقمم فى العصر الذى سبق صلاح عبد الصبور ، ولعلنا إذا تأملنا هذا المعنى بشىء من التعمق حين نخلو إلى أنفسنا بعد هذا الحفل ندرك إلى أى مدى كانت رفعة صلاح عبد الصبور التى حالت بين الاقلام وبين أن تمسه فى شخصه ، وهى فى سبيلها إلى محاولة هدم آثاره الفكرية .. وعلى صعيد آخر إلى أى حد كانت مدرسته الجديدة ثرية بالافكار التى اتسعت لكل المعارضين أن ينظرو إليها من أحداب وأصواب .

لم يكن صلاح عبد الصبور ينفعل بشعره وهو يلقيه ، وكان هذا مصدر حيرة للناس ، ولم يكن ينفعل للنقد الذى يلقاه ، وكان هذا مصدر حسرة لشانئيه ، ولم يكن يخضع لأعراف الإدارة فى تعامله مع موظفيه ، وأمورهم ، وإنى لاذكر أنه كان يوافق لكل من يطلب السفر ، على السفر ، وكان من حوله يريدون منه شيئاً من البأس ، يضيف إلى رهبته التى كانت ذات شأن بلا شك ، مع كل ما أبدى وما أخفى من عواطف وطيبة ، ولكن صلاح عبد الصبور كان عنده ذلك الايمان المستقر أن الذى بيده أمر هذا الكون ليس منا ولكنه فى أعلى عليين ، ولعل هذا هو ذات الدافع الذى كان وراء خلقه إذا انفق فانفق عن سخاء ، وحين لم يعرف البخل ولا الشح ، وحين لم يكن من

الادباء الذين أحسنوا إدارة ماليتهم وتطويعها للمستقبل ، ولم يكن صلاح عبد الصبور يخفى أنه يستبعد أن يمتد به الدهر ولم يكن كذلك متوقعاً أن يمضى فى ذلك الوقت الذى ذهب فيه ، ولكنه كان عنده ذلك الايمان المستقر أن الذى بيده أمر كل هذا ، ليس منا ولكنه فى أعلى علين !

ليس من شأن ما يأتى من كلامى فى هذه الفقرة أن يقلل من قيمة صلاح عبد الصبور كأمير لشعراء عصره ، وأمير للشعراء الذين يأخذون فى شعرهم على نهجه ، ولكنى مع هذا لا أستطيع أن أغفل عن حضراتكم الان إنكارى لأن يكون هذا هو محور نظرتنا للرجل العظيم ، وهو عندى ناقد كبير بل ناقد أمير : تميز بحس ، ونصاعة عبارة ، ونضوج فكرة ، وإدراك للمغازى ، وتقييم للمعانى وتقدير للبيان ، بعد عن الذاهب اعلاء للمواهب ، فهم لآثاره البيئة من دون ازتكان عليها عند التقييم ، نظرة لا تقف عند ما أمامها ، ولكنها تضع النتاج الفكرى لا فى السماء أوفى الارض ، ولا بين السماء والأرض ، ولكن بين النجوم وهى بين السماء والأرض .

ولا أظن أيها السادة أنى أخالف بهذا عن نظرة اساتذتنا جميعا الى شاعرهم الكبير ، ولكن أظن أيها السادة بل أعتقد أن سيأتى يوم يكون لنقد صلاح عبد الصبور قيمة هى ضعف قيمته اليوم أضعافا مضاعفا وقد يكون مرجع ذلك إذا أذنتم لى إلى حقيقة قد تغيب عن أحكامنا ولكنها لا تغيب عن إدراكنا ذلك أننا قد ندرك أمهر الفنانين بأسهل مما ندرك أعدل القضاة .

محمد زكى عبد القادر

فى صباح يوم من أيام الهدوء فى السياسة ، الهدوء الذى يتيح للعنوان الرئيسى من جريدة الصباح أن ينصرف إلى شىء ذى قيمة ، كان هذا العنوان يحمل نبأ وفاة الأستاذ زكى عبد القادر ، على حين فجأة ، فيما بين جلسات مجمع الخالدين ، حين ذهب كما كان يذهب فى أغلب أيامه ، يتناول ما يتقوى به على مانذر نفسه له ، ويتأمل فى ساعة فراغ ماقضى أكثر من عمره يتأمله من أمور الحياة والأحياء ، وهكذا رحل عنا فى هدوء رجل عاش بين قومه فى هدوء ، ورحل من دون أن يكلف أحدا مشقة أواخر الأيام ، كما عاش من قبل من دون أن يشق على أحد فى أى من الأيام .

كان رحمه الله كاتبا أضاء بقلمه جنبات واسعة من عقول مستنيرة ، وأضاء بما كتب جوانب كثار من الحقائق لعل أبرزها وأقواها ما كان يكتب فى أواخر أيامه فى يوميات الأخبار صباح كل أحد عن الشهور الأولى لثورة ١٩٥٢ ، وليسمح لى أساتذتى جميعا أن أرفع الفصول التى كتبها والتى لم يستكملها إلى المكانة الأولى بين كتاباته جميعا ، على الرغم من إدراكى للمكانة الرفيعة التى يحتلها كتابه « محنة الدستور » فى نفوس أهل القلم والفكر والبحث فى التاريخ جميعا ، وأعترف أنى فى لحظات كثيرة أقع فريسة طيعة لشعور مقبض يجعلنى أسائل نفسى : لماذا لم تكتمل هذه الحلقات التى لو اكتملت لكان لها أكبر الأثر فى صياغة رؤيتنا لفترة من أخطر فترات تاريخنا على نحو يكون فيه للحق الحق

والإنصاف المنصف القدر الأوفى ! لماذا لم تكتمل ! وإنى لأبرأ إلى الله من نفسى ومما يعتريها فى تلك اللحظات !

من المؤرخين أناس يكون من حظ التاريخ أن يشهدوا الأحداث عن قرب مادى ، وأن يشهدوها بعقول ونفوس وذاكرات بعيدة عن الأهواء والماديات ، ثم يكون لهؤلاء قلم ، ثم يكون لهؤلاء الناس وأقلامهم وقت يخلون به إلى الصفحات البيضاء يزيدونها بياضا بما يدونونه من حقائق اكتسبت من إنصافهم بياضا هو أقرب فى نصاعته إلى بياض الحقيقة .. وهؤلاء فى تاريخنا الحديث قلة نادرة ، ومن هؤلاء هذا الرجل .

ومن أهل الصحافة ، أناس ، أُتيح لهم من الثقافة والعلم والتنور أقدار قد تختلف ، ولكنها مع ذلك تستطيع أن تتناسق أو تتجانس لتخرج منها قدرة على التنوير ، وتجد هذه القدرة من إمكانات الصحف ، وسرعتها ، وانتشارها ما يمكنها من الاقتدار البناء ، وحينئذ يصبح هؤلاء قوة .. قوة يأتيها التوجيه من نتيجة تفاعل قوى الحق والخير والجمال والقوى المضادة لكل اولئك ، فإذا انتصرت فى النفس القيم العليا ، أصبحت هذه القوى ولها فى ذاتها من القوة الكامنة أقدار هائلة من طاقة الوضع ، قد لا يلحظها المراقبون الذين قد لا يلحظون إلا الصور الظاهرة من طاقات الحركة ، ولكن الذين يستعينون بالحسابات يدركون بلا شك ، أن القدر الذى فى طاقة الوضع ، التى كانت عند زكى عبد القادر أو أمثاله ، يفوق أقدار طاقات حركة من حولهم جميعاً .

أما دور الأستاذ زكى عبد القادر فى مجلته الفصول ، فلعله من أخلد الأدوار فى حياتنا الثقافية ، فقد بذل رحمه الله فى هذه المجلة كل ما أمكنه أن يبذل حتى تخرج لهذا الوطن دورية وطنية قوية ، تعبر له ولشبابه عما ينبغى له أن يعى من تطورات الفكر وتطورات الأحداث ، وقاوم الرجل الظروف الصعبة — التى كانت تزداد مع الأيام ضراوة من أجل بقاء المجلة ، ولكن الزمن كان أقوى .. ومع هذا بقيت لنا فى المكتبة العربية أعداد رائعة قيمة من مجلة راقية محترمة ، فيها الجهد البارز والجد الواضح .. وفى هذه المجلة تتلمذ على يد الاستاذ زكى عبد القادر عدد من أبرز كتابنا اليوم ثقافة وأصالة وصحافة ولمعانا ... ولعلنا إذا تأملنا مدرسة عبد القادر الصحفية لانتهينا إلى حقيقة هامة ، وقد لا تكون غريبة ، حين يكون تلاميذ الرجل قلة قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة ، ولكنها كلها مع ذلك فى الصف الأول عن جدارة .. ولعل هذا يفسر لنا سر التقديرين اللذين كان يلقاهما فى آن واحد من ومع صاحبى المعطف الكبير الذى خرجت منه الأعداد الغفيرة من تلاميذ أخبار اليوم .

ولعلكم تشاركوننى أيها السادة الرأى أن زكى عبد القادر كان دائماً فى الصحافة المصرية ، وللصحافة المصرية بمثابة الدرة الأصيلة ، حفظت نفسها ، تأتى الأيام بأولى الأمر أو بأولى الحاجة إليه ، فيقوم إليهم يؤدى دوره الطليعى فى إخلاص عاقل ، ونشاط هادىء خير ما يكون الأداء . وقد حدث هذا فى الأهرام نفسه ، ومن قبل فى عدد من الصحف

الحزبية ، ومن بعد فى « المختار » .. فكان فرداً فيه بكفاءة الجماعة ، وليس من حوله الجماعة الخاصة ، وكان رئيسا فيه الحزم وليس من خلقه البطش ، وكان أهل وطنية فيه الولاء وليس عنده الرياء ، وكان أهل تقدير فى خلقه الإنصاف وليس من طبعه التهويل الذى قد يذهب بالحقيقة .

أما عن أدبه ، فقد كان رحمه الله أديبا بالطبع ، وبالتطبع أيضاً ، فقد كان يرق بأسلوبه بكل ما أوتى من قوة التعلم ، وعزيمة الإجادة ، وطموح السمو ، وكانت عبارات الأستاذ زكى عبد القادر التى (يصنع) من أشد العبارات تماسكا وقدرة على البقاء ، بما اتسمت به من ثاقب الفكرة ، ونصاعة العبارة ، وأصالة الفن ، وروح التفنن وفلسفة الحياة ، وقد قادنى البحث فيما كُتب عن كثير من الأعلام الذين قدر لى ان أكتب عنهم ، أن أبحث فيما كتب زكى عبد القادر ، فكنت أجد فى مقالاته العابرة عمقاً قد تخلو منه الكتب التى كتبت على مهل ، والقصائد جاءت بعد تأمل وتدبر ، وكنت أجد فى مقالاته بالإضافة إلى هذا تلك الصفة ، التى وصفت ، ولا أزال يحلو لى أن أترنم بقوله عن مشرفة باشا فى معرض الحديث عن وفاته المبكرة إنه مصباح استنفذ ما به من زيت ! ، أو قوله عن المشير أحمد إسماعيل « ولم أعرف رجلا مثله خرج من الظلال إلى الضوء الباهر فى لمحة جزاء وفاقا للعمل الصامت والصمت العامل » لعل القارىء يشاركنى الشعور ، (أو الرأى) بمدى القوة التعبيرية فى هاتين العبارتين ، بينهما ربع قرن من الزمان ، ولكنهما تبقيان مدى الزمان .

وكان الاستاذ زكى عبد القادر فى كتاباته يؤمن أو يكاد يؤمن أن الناس كالسلحفاة التى لا تخرج رأسها وجسمها من درعها إلا فى الدفء ، ولهذا كان يدفىء الناس فى مقالاته بشىء من العطف ، فكانوا أحرى بأن ينزلوا على مراده ، ومع هذا كانت طائفة من قرائه ، وكنت منهم ، يتجاوزون هذه المقدمات يراد بها الدفء إلى اللباب وليت زكى عبد القادر وجد فى عصر لم يكن فى حاجة إلا إلى اللباب .

وقد نال رحمه الله فى أواخر حياته ، كل ما يتمنى امثاله لأواخر حياتهم ، من البعد عن مشكلات المناصب والمكاتب ، والخلود إلى شىء من الراحة ، والخلو إلى النفس ، وإلى الاصدقاء وإلى التلاميذ ، وكان رحمه الله قد احتفظ لنفسه بمكتب فى شارع شريف ، عليه لافتتان صغيرتان منذ الأربعينات محمد زكى عبد القادر (المحامى) والثانية لمجلة الفصول .. وفى هذا المكتب كان يقرأ ويدرس ويكتب ويقابل الناس ، ولم يكن لقاؤه بالأمر الصعب على أولى العلم أو البحث فى تاريخنا المعاصر وكانت له فى بعض الأحيان شبه ندوة ، وفى هذا المكتب شرفت بلقاء الرجل العظيم الذى لم يجد حرجا فى أن يسألنى فى تواضع مقدور عن ذات المعنى الذى وجده فى نفسه من عجز قلمه على إثبات قدرته فى كتابات تبسط العلوم للناس ، وحين حاولت أن أذكر له أن السبب فى ذلك ، قد يكون هو ذاته الذى صرف أم كلثوم عن أن تبرع فى مجال التلحين ، أشاح بوجهه إشاحة تعبر بكل الصدق عن التواضع الرفيع الذى كان من سماته ، وإذا كان قد أتيح لك أن تقرأ كتابه « أقدام على الطريق » فسوف تدهش لهذا القدر من التواضع المتواصل فى كل فقرة يحكى فيها الرجل عن حياته ، ولعله فى هذا كان أقرب إلى ذلك الطبيب العظيم الذى قال فى حفل لتكريمه :- « إنى لا استحق هذا المديح

الذى تكيلون فالمرضى هم الذين يحددون مواعيدهم ، وهم الذين يقصدون إلىّ بأنفسهم ، وهم الذين يصفون لى أعراض مرضهم ، وهم الذين يدفعون ثمن أدويتهم ، ويتعاطونها فى مواعيدها » .

كان زكى عبد القادر يكتب وقد اتخذ لعموده « نحو النور » عنواناً ، فإذا كان لنا أن نسأل انفسنا أى نور ذلك الذى كانت مقالاته تسير فى سبيله فلن يشذ عن الأغلبية **المحصة** عدد كبير لينكر أن نور الحقيقة ، كان هو رائد هذا الرجل على مدى عصور من تاريخنا كانت فيها أنوار أخرى أجدر بأن تغرى ، وأجدر بأن تبهر ، وأجدر بأن تقنع وأجدر بأن يسير وراءها كثيرون ، ولكن زكى عبد القادر كان بلا شك من طراز الكتاب الذين يعشقون الخلود ، وليس إلى الخلود من سبيل غير السبيل الذى يضىء جنباته نور الحقيقة .

قد يقال إن من صعوبات فن العمود الصحفى أن تكون هناك من القوة ، وأن يكون كبحك لقلمك ولنفسك من درجة لا يتأتى معها عمود يكمل السابق ، ولا عمود ليس فيه إلا التعليق على ماوردك ، ولا عمود يكرر فكرة كانت لعمود قبله ، ولا عمود يصلح ما فيه لأى يوم من الايام .. فإذا كان كل هذا قد اجتمع بوضوح شديد فى عمود هذا الرجل لأكثر من ثلث قرن من الزمان ، فسائلوا الزمان إذن عن تلك المكانة الرفيعة التى يتبوأها قلمه فى عصره وفيما بعد عصره .

وبعد فهذا رجل كان له من سمو النفس القدر الاكبر ، وكان له من كال الخلق القسط الأعظم ، وكان له من نبل الطابع النصيب الأوفر .. وكان مع هذا لاينى عن صقل شخصيته حتى آخر يوم فى حياته !

بدر الدين أبو غازى

كان بدر الدين أبو غازى رحمه الله مثالا حياً لطبقة النبلاء ، الذين يكون من حظ معاصريهم أن يجدوا فيهم ما يجدونه فى الشموع التى يكون منها النور الهادى فى ظلمات الحياة الدنيا ومع ذلك يبقى نورها إذا ما طلع عليها نور الحياة الآخرة ولكنه يتحول من نور هاد إلى نور هادىء .

لا أظننى ولا أظن حضرتكم بحاجة إلى أن نعيد قراءة تاريخ حياة الرجل ، لنؤكد هذا المعنى ، ولكننا إذا نظرنا فى طريقنا فلمحنا متحف مختار ، وتملكنا الشعور بأن فى إمكاننا — بل وقد كان بالفعل — أن تكون لنا الذاكرة الحية القوية التى تُخلِّد فيها آثار فنانينا على نحو ما يكون للحضارات الزاهرة من ذاكرة ، عندئذ لابد أن نترحم على بدر الدين أبو غازى ، وبنفس القدر وربما أكثر إذا قادتنا خطواتنا نحو نيل الزمالك بعد الجزيرة ، وطالعنا ذلك الصرح الذى أقيم ليرمز إلى قيمة لغة القرآن فى كياننا الوطنى ، وإلى التقدير العميق يلقاه مجمع اللغة العربية ويلقيه فى روح هذا البلد فى صمت وتكتم .. ولو أننا عبرنا ذلك النيل إلى ضفته الأخرى وأردنا أن نغض الطرف وأصخنا السمع إلى قصة موقف جليل وقفه بدر الدين أبو غازى حين تسلم مقاليد وزارة الثقافة لفترة حرجة من تاريخنا ، موقف وقفه من دون أن يتاجر به ، حتى بعد أن تاجر به كل الناس إلا صاحبه النبيل الكريم على نفسه ولو أنه باعه لكسب به كثيرا ، ولكن مكسبه كان أكبر حين تركه فى ميزان حسناته وميراث أمته ، ولا أعدو الحقيقة حين أقول إننا كأمة كسبنا بهذا موقفا نبيلا يضاف إلى رصيد القدوة الطيبة التى كثيرا ما تجد من يبحث عنها .

(٢)

قد لا يدرك الجمع الغفير منا ، بل قد لا يدرون حجم الدور الهائل الذى قد كان للراحل العظيم حتى قامت نقابات الفنانين ، التى هيأت لهم على ما اعتقد الصياغة المثلى لمكانتهم التى هم أهل لها من كياننا الوطنى فى دولة المؤسسات أما وقد ذهب الرجل ، فاسمحوا لى أن أحدثكم عن ذلك التفانى الذى كان يبذله ربيع عام ثمانية وسبعين ، كان وهو الحكومى المتمرس والوزير السابق يسابق الزمن ليضع خطوات إنشاء النقابات من أول مرة .. ومن دون أن يخطىء الاجراءات أو يتخطاها ، ومن دون أن يترك نزعات التباطؤ المعتاد فى مثل هذه الأمور ، أو مشاغل الحياة تشغل أياً من المهتمين بالأمر من أعضاء اللجان أو الحكوميين وحتى الوزير نفسه وكان يومها الأستاذ عبد المنعم الصاوى عن إتمام الأمور كاملة ، وفى موعدها وخرجت النقابات إلى النور خروج المولود تام النمو على أسهل ما تكون الولادة على يد الطبيب القدير .

(٣)

وقد يكون من الصعب على غير أهل الفن أن يدركوا قيمة نقد الرجل ولكنه ليس بالأمر الصعب على واحد من جمهرة المثقفين أن يعبر عن إحساسه بهذه القيمة حين يجد التحليل والتبسيط ، ويجد قبل ذلك قدرة الرجل على وضع العمل الفنى فى مكانه من تاريخ النتاج الوطنى المعاصر ، ولعل هذه الصفة بالذات هى التى قادت إلى روح العدالة والحياد التى سادت نقده والتى لم تسود نقده أيضاً فنحن لا نزال لا

نقدر بشدة إلا الذين يعبدون الأشخاص بشدة ، ولكن سيأتى وقت تذهب فيه كل النزعات العابرة ويبقي لنا تاريخنا الفنى نريد أن نكتبه على نحو ما كان ، وساعاتها سوف تحتل كتابات بدر الدين أبو غازى مكان الصدارة فى قائمة المراجع .

وبنفس القدر من التقدير سوف ينظر إلى اسهامه فى كتابة تاريخ حياة وأعلام فننا الوطنى الحديث كتابة واعية وافية ضافية على نحو يتيح لمن يأتى بعدهم وبعدنا أن يرى ضوء المشاعر الحقة التى عاصرت نهضة مصر ، واسمحوا لى أن أزعم لنفسى شرف الاتفاق مع الراحل الكريم فى هذا المجال ، وهو اتفاق رأى النور بالفعل ، وإنى لأرجو الله أن ينمو بيننا هذا الاتجاه الذى يبرز القدوات الوطنية وكفاحها ونجاحها من دون تأليه ولا تهويل ولا تسفيه للمنافسين ..

(٤)

سادتى .. كان بدر الدين أبو غازى حلقة فى سلسلة من أعلامنا ذوى الطبائع والميول المختلفة جداً الذين عهدت إليهم حكومات ثورتنا المتعاقبة بأمر وزارة الثقافة ، وعلى الرغم من ان عهده بالوزارة كان أقصر هذه العهود جميعا ، إلا أننى أستطيع أن أؤكد لكم بل أظنكم أنتم الذين تستطيعون أن تؤكدوا لى ، أن عهده كان أطول العهود بها ، فقد كان لأطول الفترات من خير المتعاونين مع الوزارة وعلى رأسها وزيرها ، ولم يكن ذلك لسبب قربه منهم جميعا ، ولكن لأنه كان يؤمن أن هذه هى وظيفته ، ولقد كان الرجل وله أعف لسان فى سيرة كل من سبقوه وكان له أنفع يد فى مسيرة كل من خلفوه ..

وهكذا كان من قبل فى كل المواقع المختلفة من الوظائف الوطنية أو القومية التى أهلته لها دراسته الاقتصادية ، وخبرته الطويلة فى إدارة أمور المال والاقتصاد والتشريع المالى .

(٥)

سادتى .. لا أستطيع أن أعبر لكم عن طبيعة العلاقة الوثيقة التى ربطتنى بالراحل العظيم ولكن بوسعى أن أتجوز فأقول إنى كنت أشعر حين أحادثه ، أنى أحادث والدا كريما عطوفا ، يجدر بى أن أنتهز الفرصة — وكنت أفعل — فأستطلع رأيه فى كل ما يجول بخاطرى من أفكار للمستقبل وأن أضع أفكارى أمامه كما هى من دون تحوط ولا تخوف ولا استحياء ، ولعمرى إن هذا لا يتاح إلا لقلة من الأبناء مع ندرة من الآباء الذين يصادقون أبنائهم ويصدقونهم ، وأظنه كان رحمه الله خير مثال لهذا النوع من الآباء العظام .

ثم إن الله سبحانه وتعالى ابتلاه من هذه الناحية ، حين استرد وديعته يوم كانت هذه الوديعة أينع ما تكون على أبواب الحياة فى يوم مولده ، ووقف الرجل شامخاً صابراً أمام ابتلاء الله ولقد يروى أصدقاؤه أنه كان خير من يواسيهم حين يواتيهم البلاء ، ويروون أنه كان واسع الصدر ، هادىء النفس ، دمث الخلق ، لين الطابع ، وأنه كان قنوعاً غنياً رضياً ، ومع هذا كله فلقد كان علما ، يخفق ويرفرف ويضىء ويظلل ويهدى ، ومع هذا فقد كان وثاباً وجاداً مجداً ، لا يخلف موعداً ولا يعتذر عن مشاركة ، ولا يهرب من تبعة .

فإذا ما تأملنا حياة هذا الرجل بعد عشر سنوات أو بعد خمسة عقود ، فسوف نقدر فى الرجل أن المجد سعى إليه فى وقته ، وقبل وقته أحيانا ، فلم يباه به ولا فاخر ولا جاهر ، وأن السلطات صارت إلى يديه كثيرا فلم يستغلها ولم يوسعها ولم يستحوذ عليها ، وأنه كان بإمكانه أن يصبح مركزا من مراكز القوى فى حياتنا المعاصرة ، ولكنه آثر أن يكون مركز قوة فى قلوبنا وعواطفنا وعقولنا بدلا من حياتنا ودواوينا وشارعنا .. فى قلوبنا بالحب الذى لا أظن أن أحداً يستطيع أن ينازع فى أن بدر الدين أبو غازى انتزعه على نار هادئة ، وفى عقولنا بالتقدير لكل الآثار التى بذل من أعصابه ووقته وتاريخه ووقته وعلاقته ، وكل ما فى شخصه الذى ذهب من قوة ، حتى رأت النور ، وفى عواطفنا بالمشاعر المتتالية تجاه المواقف المتوالية للرجل فى حياته الماضية .

محمد فهمي عبد اللطيف

(١)

كان الاستاذ فهمى عبد اللطيف رحمه الله ، من أول من شرفت بمعرفتهم من أهل الصحافة ، فكان ذلك من حظى ، أن انطبعت فى ذهنى عن الصحافة تلك الصورة التى يمثلها الرجل بين أهل الصحافة ، طيبة القلب ، ودقة العبارة ، وحلاوة الروح ، وخفة الظل ، وتواضع العظمة ، وقدرة القلم ، وبشاشة اللقاء ، ومتعة الحديث ، وكرم الأريحية ، ونقاء الفطرة .

لم يكن من الصعب علىّ ساعتئذ ، ولا أظنه من الصعب على الذين يقرأون للاستاذ فهمى عبد اللطيف أن يدركوا أن الرجل أزهرى ، معتز بأزهريته ، وبما اكتسب فيها من علم ، وأن الرجل فلاح ، معتز بقريته وبما اكتسب فيها من قيم ، وأن الرجل إنسان معتز بانسانيته وبما اكتسب فيها من تجارب ، وأن الرجل شرقاوى معتز بشرقاويته ، وما فيها من كرم .. كانت كل هذه السمات ظاهرة واضحة فى كتاباته لا تخفى ولا يخفيها حتى لو ظن المبتدىء انه كان أحرى به أن يصوغ ما كتب بغيرما صاغ ، أو أن يؤثر موضوعا لم يكتب فيه على ما كتب بالفعل ، أو أن يتخذ وجها من الوجوه يتفق مع المكانة التى بلغها بين أهل الصحافة بحكم كفاءته وخبرته الطويلة ، وهى المكانة التى يبلغ الواحد من أنداده فيتخذ لها من القناعات والاقتناعات غير ما اتخذ من قبل ، ولكن الاستاذ

فهمى عبد اللطيف كان فى الواقع مثالاً حياً لاولئك الذين عبر عنهم أحد النقاد الفرنسيين ذائعى الصيت بقوله : « أن تكون أنت نفسك .. هو الطريق الوحيد لأن تحرك المشاعر » .

(٢)

ثم كنت أقرأ له ، بعد ما عرفته ، فما أظن أنه قد اعترانى لحظة من اللحظات ، الظن بأن الرجل يكتب شيئاً لا يحب هو أن يكتب ، مع أن هذا قد يبدو غريبا فى الحكم على رجل كان عليه أن يكتب كل يوم كلمة الاخبار ، أى الكلمة الرسمية .. ولكنى أؤكد لكم أيها السادة أن الرجل كان فى ذلك يمثل النوع الآخر ، النوع النادر بيننا اليوم ، من الذين يفهمون السعادة على أنها أن تحب ما تعمل .. لا أن تعمل ما تحب فحسب .

(٣)

لم يكن الإنسان فهمى عبد اللطيف كأغلب أهل الصحافة تتناولهم الأعراض قبل أن يستميلهم الجوهر ، ولكنه كان من الباحثين عن الحقائق فى تأن وعلى مهل ، ومن الكاتبين عن الحقائق مهما تكن الظروف . كان له قلم ، وكان مداد هذا القلم سيالا ، ولكنه لم يكن يسيل لما يسيل له اللعاب ، كان نقياً ، ولكنه مع هذا لم يكن يحبس نفسه عن معترك الحياة ، ولهذا لم تكن الحياة تحبس عنه بعض مباهجها ومفارحها .

أما حبه للعربية فقد كان يأخذ عليه مجامع نفسه ، لم يكن يطيق الخطأ فيها ولا اللحن بها ، وكان إذا سمع اللحن اهتز من تأذيه له ، وإذا قرأ عجب للناس كيف تفوتهم هذه الأخطاء ، فلما شاع الخطأ ، كان ينتظر الأمل في الصفوة ، فكان إذا رأى الخطأ يقع فيه واحد من أهل الصفوة ، قال حتى فلان يخطىء !

وكان يعرض للأخطاء الشائعة في التعبير وفي الأسلوب وفي النحو وفي الصرف من حين لآخر ، فكنت تجد الأصالة في تأصيله ، وتحس من أسلوبه أنك تقرأ الحواشي المحترمة مع أنك في الصفحة الثانية عشرة من أخبارالأربعاء التي يقرؤها مئات الألوف وكان يلاق فيما يبدى من آراء كثيراً من عنت الذين يزعجهم أن ينصرف الناس عن الخطأ الشائع حتى ولو كان الصواب سهلاً ، وكان يلاق أيضاً ذلك النوع من الاستغراب يبديه أصحاب النفوس التى تعتبر كل تدقيق أو اهتمام بالدقائق ، تضييعاً للوقت . وكان يلاق مع هذا ذلك الضرب من الاستكناف يبديه أولئك الذين آثروا الاسترخاء يدعوهم إليه اليأس وكان يلاق مع كل هذا نوعاً من التقدير أقرب إلى العطف على القوى يبديه أصدقاؤه الذين يدركون أنه واقع بين هاتيك الطوائف الثلاث وكان فهمى عبد اللطيف رحمه الله في كل تلك الأحوال سعيداً ، راضياً عن شرح الصدر والنفس والفؤاد ، قرير العين والبال والجوارح ، مؤمنا أن عليه أن يؤدى واجبه ، وأن ليس عليه إدراك النجاح .

كان الأستاذ العقاد قيمة كبرى عند الاستاذ فهمى عبد اللطيف ، ويبدو أن الأستاذ فهمى كان يحظى كثيراً بتقدير من العقاد ، ولا أظن أن تولى الأستاذ فهمى كتابة يوميات الأخبار فى اليوم الذى كان يكتب فيه الأستاذ العقاد كان من قبيل الصدفة ، وكان فهمى عبد اللطيف رحمه الله مرجعاً فى سيرة العقاد ، وكان على خلاف غيره من أعلام كانوا يحظون بنصيب من الأضواء يفوق نصيبه ، يحظى بقدر أكبر من الثقة فى أحكامه التى يصدرها فى شأن العقاد ، وإنى لأذكر ذات صباح كنت عنده فيه ، ولم أكن قد قرأت بعد مقاله ، إلا عنوانه الذى كان يقول ظلموا العملاق أو شيئا قريبا من هذا ، وكان المسلسل التلفزيونى « العملاق » يومها قد انتهى لتوه ، أو أوشك على الانتهاء ، فاذا ذلك الهاتف الذى فى مكتبه ، والذى إلى جوار مكتبه لا ينقطعان عن الرنين يحملان التهنئة والتقدير والشكر الجزيل على ما كتب الاستاذ فى حق الأستاذ ، وهل لى أن أذكر أن ذلك لم يقف يومها عند أحاديث التليفون ، وإنما جاءته ، قبل حضورى المبكر هدية قيمة جداً من إحدى الشخصيات المعروفة بحبها للعقاد !!

وبالاضافة إلى هذا فإنى لا أجد حرجا أن أنقل عن أهل الاخبار ماورووا فيما كتبوا عن الفقيد من أن الاستاذ الكبير مصطفى أمين ، كان فى بعض الاحيان يشير بأن ينظر الأستاذ فهمى من دون الناس جميعا فى مقاله قبل نشره .

كان الاستاذ فهمى عبد اللطيف فى أول حياته وفى آخرها يكتب كثيراً فى التعريف بالكتب الجديدة ، وفى التعليق على الاحداث الأدبية ، وتحليلها وكانت هذه الأمور كثيرا ما تستغرق وقته ، كما لو لم يكن له مجال غيرها .. ولكن فهمى عبد اللطيف لم يكن أبداً كاتب المناسبات ، حتى ولو أكد لك كل الناس أنه كان يكتب يوميات الأخبار كل يوم ، وإنما كان قلم فهمى عبد اللطيف من تلك الاقلام (الماضية) التى لا يعتريها الصدأ ، حتى لو اعتراها اليأس ، لا تفقد حدتها حتى وإن كان الجو من الدواعى إلى التكيف مع تقلبات حرارته .

كان حجة فى الأدب الشعبى ، والفن الشعبى ، ولعل هذا الجانب من شخصيته هو الذى كان يدفع البعض إلى عدم الإيمان بأزهريته ، مع أنه ليس فى الأمرين تعارض ، وكانت كتاباته فى هذا المجال خير دليل على صحة القول القائل إن آلة واحدة من آلات عصر الكمبيوتر قد تقوم مقام عشرة أفراد ، ولكن مئات الالآت لا تقوم فى قدرتها على الاستحضار من الذهن مقام نابه واحد كالاستاذ فهمى عبد اللطيف !

ألا إن اياماً لنا كانت فيها السمعة تعود أكثر ما تعود إلى كثرة ما يسمع الناس من ضجيج ، هو فى أغلبه أجوف ، قد ولت أو قد أوشكت ، ألا وإنْ موازين التقدير لأهل القدر قد بدأت معاييرها تكتسب من الدقة والتمحيص والاختيار ما يجعل لها من احترام المقاييس الثابتة القدر الذى يهيىء لشباب الأجيال القادمة أن ترى المثل العليا ، والقمم السامقة ، والكفاءة النادرة ، والهمم المخلصة فى جلاء ووضوح ، وعندئذ سوف نكسب الكثير .

حين اغتيل العالم المصرى الدكتور يحي المشد فى الرابع عشر من شهر يونيو ١٩٨٠ قبل ثلاث سنوات فتح العالم العربى أو كان يجب أن يفتح عينيه على عدد من الحقائق الهامة .

أولها : هو مدى الأمن الذى تكفله الأنظمة العربية للعلماء العاملين فى المجالات الحيوية والاستراتيجية . وقد أثبت حادث الاغتيال بصورة واضحة أن اجراءات الأمن هذه لا تبلغ عشر معشار ما تبذل الأنظمة العربية فى حماية رجال السياسة والحكم . وقد تقوم الادارات العربية بتوفير سبل الراحة والرفاهية لهؤلاء العلماء ، وهو أمر مشكور ولكن الأخطر منه أن تهيىء لهم ، بل للأنظمة نفسها بهذه الاجراءات سبل الأمن الحيوى بحماية العقول .

ثانيها : هى أهمية العنصر البشرى فى التقدم العلمى . وليس من سبيل التكرار القول بأن الأهم من الكمبيوتر هو العقل الذى يوجهه . والأخطر من القنبلة النووية هو العقل الذى وراءها . ولعل فى تعليق المخابرات الإسرائيلية بعد الحادث حين قال رئيسها : إن اغتيال العالم المصرى سوف يؤدى إلى تأخير البرنامج النووى العراق لمدة عامين على الأقل فقد كان الدكتور المشد واحدا من العلماء العرب القلائل المتمكنين فى العلوم النووية إلى الحد الذى يمكنه من توجيه مثل هذا البرنامج القومى والإشراف عليه .

ومثل هذه الكفاءات العلمية العالية لا يتاح لوطنها أن تظفر بها إلا بعد إعداد علمي وعمل طويل فى الداخل والخارج .

فقد تخرج الدكتور يحي أمين المشد فى قسم الكهرباء بكلية هندسة الأسكندرية سنة ١٩٥٢ وابتعثته الدولة إلى الاتحاد السوفيتى لدراسة هندسة المفاعلات النووية عام ١٩٥٦ مع بداية التعاون مع الكتلة الشرقية ، وعاد الدكتور المشد مؤهلا للعمل فى هذا المجال الحيوى والاستراتيجى ، فأسند إلية القيام ببعض الأعباء والبحوث فى قسم المفاعلات النووية بهيئة الطاقة النووية فى بلده مصر ، وعاد الدكتور المشد إلى الخارج مرة أخرى حيث قضى عاما كاملا فى النرويج (٦٣/١٩٦٤) عاد بعده لينضم إلى أسرة هيئة التدريس فى كليته التى تخرج منها حيث عمل استاذا مساعدا فاستاذا بكلية هندسة الاسكندرية . وفى هذه الفترة أشرف الدكتور المشد على ثلاثين رسالة دكتوراه ونشر باسمه خمسين بحثا علميا تركزت معظمها على تصميم المفاعلات النووية ، ومجال التحكم فى المعاملات النووية واستخدام الحسابات الإلكترونية فى تصميم المفاعلات النووية » .

شارك الدكتور المشد فى كثير من المؤتمرات العالمية فى مجال تخصصه وفى اوائل السبعينات سافر الدكتور المشد إلى العراق لحضور مؤتمر العلوم النووية الأول .. هناك وجد أن الحكومة العراقية لديها المعلومات الكاملة عنه وعن أبحاثه : وأنها ترغب فى التعاقد معه للمساعدة فى البرنامج النووى القومى للعراق . كانت العراق قد بدأت تجنى ثمار

ارتفاع أسعار البترول وعلى الرغم من الأحتياطى البترولى الضخم الذى ثبت وجوده فى أرض العراق إلا أنها كانت تسعى إلى توليد الكهرباء من الطاقة النووية كمصدر متجدد للطاقة .. ووافق الدكتور المشد على العمل مع حكومة العراق ووافقت جامعته المصرية على إعارته لكلية التكنولوجيا ببغداد حيث كان يقضى بعض وقته فى البحوث والتدريب ويقضى الشطر الأكبر فى الإشراف على مشروع العراق النووى .

كانت الجهات الحكومية العراقية فى البداية تعرض أوراق وتقارير المشروع على الدكتور المشد للاستفادة برأيه فى اتخاذ قراراتها بشأن المشروع ، ولكن كفاية الدكتور المشد وإخلاصه دفعت بالحكومة العراقية إلى أن تترك له مهمة الاتصال بالجانب الفرنسى رأسا والاتفاق بإسم العراق على كل الخطوات الفنية فى المشروع الاستراتيجى الكبير .

ولهذا كان الدكتور المشد فى عامه الأخير كثير السفر إلى باريس لإنهاء مأموريات تتعلق بالجوانب التكنولوجية فى المشروع أولا بأول .

انقضت أربع سنوات على الدكتور المشد وهو يعمل فى العراق وكاجراء إدارى فى الجامعات المصرية طلب أليه أن يعود وإلا فستضطر الجامعة لإنهاء خدمته ..

ولكن تحمس الدكتور المشد للمشروع ولإدخال مثله لأول مرة فى دولة عربية جعله يضحى بمنصبه الجامعى فى مصر ويقبل إنهاء خدمته ليستمر فى الاشراف على المشروع .

وصدر قرار إنهاء خدمته فى أول سبتمبر ١٩٧٩ وهذا يجرنا إلى الحقيقة الثالثة فى هذا الصدد وهى تلك التى تتعلق بمسألة الانتماء القومى فلولا شعور الدكتور المشد بأهمية الدور الذى يقوم به للقطر الشقيق لكانت خسارة العراق للعالم الكبير قد حدثت قبل اغتياله بزمن طويل بابتعاده على أية صورة من الصور فى وسط الطريق وتخليه عن مهمته القومية ، ولكن الشعور القومى القوى هو الذى دفع الدكتور إلى أن يبقى هو وأسرته فى العراق ، هذا الإخلاص القومى لن يتأتى للعراق ولا لغيرها من دولنا العربية من غير العرب ، وحتى هؤلاء فاننا ما لم نكف عن الصراعات البغيضة التى يفتح الجيل الجديد أعينهم عليها فسوف نفاجأ بجيل لا يقدر هذه النزعة مثل هذا التقدير الذى كان عند الدكتور المشد .

ونعود إلى موضوعنا .. حاولت العراق أن تستورد الخبرة أو المفاعلات الغربية ، لم تنجح فى تعاملها إلا مع الجانب الفرنسى الذى كان فى حاجة الى البترول وتم الاتفاق على تزويد العراق بمفاعلين فرنسيين من نوع أوزوريس وأيزيس سميا فى العراق تموز ١ وتموز ٢ وتبلغ طاقة المفاعل الاول ٧٠ ميجاوات على حين يخصص الثانى لاغراض التدريس والبحث العلمى .

وكانت أعين المخابرات الإسرائيلية بالمرصاد النووى .. هاجمت أكثر من منزل من منازل الفرنسيين العاملين فى المشروع على أرض فرنسا .. ثم استطاعت فى السادس من ابريل ١٩٧٩ ان تنسف المفاعل العراق فى

ميناء فرنسى صغير بطريقة فنية تنم عن أن عددا من الفنيين قد يكونون من الفرنسيين اليهود قد شاركوا فى التخطيط للعملية إذا تم نسف أغلفة المفاعل بما يضمن تدميره من دون إحداث إصابات تؤذى المحطة الفرنسية وتشير نوعا من الرعب والقلق ذى المغزى والاجتماعى .

كان هدف المخابرات الإسرائيلية واضحا ، إنها لابد من أن تدمر البرنامج النووى العراقى بأى وسيلة « *by hook or crock* » وقبل الحادث بأسابيع قليلة أعلن رئيس المخابرات الاسرائيلية أن العراق سوف يكون قادراً على امتلاك سلاح نووى قبل نهاية العام (يقصد ١٩٨٠) ولابد لإسرائيل أن تحول دون ذلك .. فهل كان هذا من قبيل المصادفة ؟ .

ثم كان حادث اغتيال الدكتور المشد وقد عجز البوليس الفرنسى بعد بحث طويل عن الوصول إلى الجانى الحقيقى ومع هذا لم يخف أن يعلن أن الدافع السياسى هو العامل المرجح الأول وراء هذه العملية .. وقد حاول الجناة يومها أن يصوروا أن فى الأمر قضية سرقة فبعثروا أثاث الحجرة التى كان يقيم فيها العالم الكبير فى فندق الميزديان بباريس فلما فتش البوليس الجثة وجد المال كما هو .. ثم إدعت احدى النزيلات فى نفس الفور أنها سمعت صوت صراخ خريمى فى ذلك المساء .. وذلك لتحويل التفكير فى القضية إلى الجانب العاطفى ، ولكن ثبت بعد ذلك من التحقيق مع تلك الفتاة التى حاولت اغراء الدكتور المشد فى تلك الليلة أنه لم يستجب لإغرائها وأغلق الباب خلفه .. وبينما بقيت هى تنتظر

نزيلا آخر لإغرائه سمعت صوت الضربة التى أنزلها القاتل على رأس الدكتور المشد ووجدته يفر هارباً وأغرب ما فى الموضوع أن هذه الفتاة لم تمض عليها مدّة طويلة ، حتى فوجىء بها البوليس قتيلة صرعتها عربة مسرعة كانت تتعقبها حتى خرجت من أحد النوادى الليلية . وهذا يقودنا إلى الحقيقة الرابعة من حقائق هذا المقال وهى : هل ياترى تتمتع مخابرات أى نظام من أنظمتنا العربية فى باريس بمثل هذه الحرية فى الحركة التى تمكن من الاغتيال ثم من اغتيال الشهود بمثل هذا الجو من الغموض والحبكة الجيدة ؟ .

والسؤال الأعمق من هذا هل تفكر مخابرات الأنظمة العربية فى مثل هذا الاتجاه الاستراتيجى من القضاء على الرؤوس المدبرة فى المشاريع الحيوية والاستراتيجية الكبرى أم أن كل همها متجه إلى تصفية الخصوم والمعارضين السياسيين ؟ .

والطريف فى هذه النقطة بالذات أن كتاباً صدر بعد هذا الحادث لاثنين من الصحفيين المعروفين بعلاقتهم بالمخابرات الاسرائيلية هما فايستمان وكروزتى حاولا فيه باصطناع الطريقة العلمية مناقشة الفروض التى قد تكون وراء الجانى فى هذه القضية .. فقالا فى معرض نفى التهمة عن المخابرات الإسرائيلية « إن الأسلوب الذى تم به الاغتيال وهو تحطيم الرأس أسلوب متخلف لا يلجأ إليه الإسرائيليون » هكذا بالنص لأن الاسرائيليين المتحضرين لا يتخلصون من أعدائهم إلا على طريقة صابرا والشاتيلا .

والحقيقة الأخيرة فى هذا الموضوع هى أنه يجب علينا أن نفكر فى مثل هذه الأمور على النحو التالى : إذا كانت استراتيجية الأعداء تركز على أن وجود أساتذة وعلماء من نوعية يحيى المشد فى برنامج مثل البرنامج النووى العراق يجعل العراق قادراً على امتلاك إمكان انتاج الأسلحة النووية بالرغم من التكأيدات التى حصلت عليها كل من الوكالة الدولية للطاقة النووية والشركات الفرنسية المشاركة والولايات الأمريكية نفسها .. إلا أن سياستنا على الجانب الآخر يجب أن تركز بصفة أساسية على أن يكون هناك أكثر من صف من علمائنا فى مثل هذه المجالات وأن يكون فى كل صف من هذه الصفوف العدد الكافى والكفء لمثل هذه المسئوليات الخطيرة .. وصحيح أن هناك اليوم مائتى عالم مصرى فى هذا المجال يعملون فى مصر وفى البلاد العربية وفى الولايات المتحدة والدول الغربية وحتى فى البرازيل .. ولكن من يضمن للجيل القادم منهم الأمان ؟ الأمان على حياته .. خصوصا وأن يحيى المشد لم يكن أول مصرى يتعرض لمثل هذا ولكن سبقته الدكتورة سميرة موسى فى أمريكا سنة ١٩٥٢ فى حادث سيارة ، والدكتور نبيل البلقينى فى تشيكوسلوفكيا عام ١٩٧٥ حين استدعى بتليفون فخرج ولم يعد حتى الآن .. من يحمى العلماء من أعداء الأنظمة التى يعلمون لها ومن بعض هذه الأنظمة نفسها التى قد لا تجازى مثل هؤلاء إلا بجزاء سنمار ؟! .

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٤/٤١٩٠
ISBN 977-1405-00-4

GOD BLESS THEM

Dr. Mohamed El-Gawady
State Prize of Literature (Biography)
Arabic Language Academy Prize of Literature

These are just few words that speak for some of our great men who have recently left our world.

1. *"Salah Abdel Sabour": The first Arabic Poet who put down the form of free poem (i.e., with no rhythme) He was a brilliant critic and was the president of the General Egyptian Book Organization.*

2. *"Mohammed Zaki Abdel Kader": A great Egyptian journalist, was the chief editor of a number of Egyptian journals and was achieved as a social reformer in his thoughts and essays.*

3. *"Badr el-Din Abu Ghazi": The ex-minister of Culture and a distinjuished art critic.*

4. *"Mohammed Fahmy Abdel Latif": A distinguished journalist. He paid his much attention to the grammatical rightness in the Arabic language as well as the folk literature with his remarkable effects on these topics.*

5. *"Yehia El-Mashad": The Egyptian atomist, who was among the staff in charge of constructing the Iraquan Atomic regenerator and was assissinated in Paris all of a sudden.*

Published by:
Dar el Atebaa
P.O. Box 177 Orman-Cairo